بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

٥٥٣
إحياء
علوم
الدين

٥٥٣

الغزالى

ج ٣
١٠

إحياء علوم الدين ، نسخه عثمان
الضبطاوى سنة ١٢٤٥ هـ.

٣٠٢ ورقة ٢٥ سم
١٢ × ٨١/٥

به بعض نواقص في الصفحات.

مكتبة أم القرى
قسم الدراسات والتسجيل
المكتبة المركزية - جامعة الملك

الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان
الله يحول بين المرء وقلبه • وحيلولته بان يمنعه من مشاهدته
ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن
وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين ويخفض الى اقفى الشياطين
وكيف يرتفع الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملايكة المقربين ومن لم
يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه
وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه • نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون • فمعرفة القلب وحقيقته اوصافه اصل الدين واساس
طريق السالكين واذ قد فرغنا من الشطر الاول من هذا الكتاب عن
النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر
ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات
المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد ان نقدم عليه كتابين
كتابا في شرح عجايب القلب وصفاته واخلاقه وكتابا في كيفية
رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل
المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجايب القلب بطريق
ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره
الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الافهام • •

بيان معنى النفس والروح والعقل وما المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه الاسما الاربعة تشتمل في هذه الابواب ويقل
في محول العلما من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها
ومسمياتها والاكثر الاغالبط منشاوها بمعنى هذه الاسامي
واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسا
ما يتعلق بغرضنا **اللفظ الاول** لفظ القلب وهو يطلق
لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر
من الصدور وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف

جمل
مي

٥٥٣

دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح كيفيته شكله
اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا تتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب
موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في
هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك
والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الادميين والمعنى
الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك
الصفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان
وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب
الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان
تعلقه به ليس هي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات
او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك
مما تفوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا
في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني انه لحقيقته يستدعي
افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا لفظ القلب
في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وعرضنا ذكر اوصافها واحوالها
لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها
واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ الثاني الروح** وهو
ايضا يطلق على ما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف
منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب
الى سايراجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان نور الحياة والحس
والبصر والسمع والشم منها على اعضائها ايضا هي فيضان النور من
السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت
الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح
مثالها السراج ومكان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج

في جواب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح
اراد وا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس
شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان
فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلب حتى يتساق الى جوار رب العالمين
فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا **المعنى الثاني** وهو اللطيفة
العالمة المدركة في الانسان وهو الذي سنشرحناه في احد معاني القلب
وهو الذي اراد الله بقوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وهو امر عجيب رباني تحير اكثر العقول والافهام عن درك حقيقته
اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق
بغرضنا منه معنيان احدهما اله يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب
والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا الاستعمال هو
الغالب على اهل التصوف لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات
المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه
الاشارة بقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرها التي هي للانسان بالحقيقة
وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب
اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب
بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال تعالى في
مثلها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس
بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة اليه عن
الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت
مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس
اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال
الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت
واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان [illegible] الامارة بالسوء

قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وامراة العزيز
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد
بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى
الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان
اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات **اللفظ الرابع**
العقل وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق
بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد العلم بحقايق الامور
فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق
ويراد به محل الادراك اي المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول
مخلوق بل لابد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه لانه لا يمكن الخطاب
معه • وفي الخبر انه قال له تعالى اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه الاسماء موجودة
وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية
والعلوم فهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى
خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والفاظ الاربعة
بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق
لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اكثر اختلاف هذه الالفاظ
وتوارودها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل
وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس
يدرك الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك
قدمنا شرح هذه الاسامي حيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب
فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد
يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم
القلب حقيقة علاقة خاصية فانها وان كانت متعلقة بساير البدن

ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب علاقة خاصة
فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك
شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب
هو العرش والصدر هو الكرسي ولا تظنن به انه يريد انه عرش الله
وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه
فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله ولا يستقيم
هذا التشبيه ايضا الا عن بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا
فلنجاوزه **بيان جنود القلب** قال الله تعالى وما يعلم
جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من
العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن
الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا • وله
جندان جند يدرك بالابصار وجند لا يدرك الا بالبصاير وهو في حكم
الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما جنده
المشاهد بالعين فهو العين والرجل والعين والاذن واللسان وساير
الاعضاء الباطنة والظاهرة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة
له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته
لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين والاذن بالانفتاح
انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام
وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضاء • وتسخير الاعضاء والحواس
للقلب يشبه من وجه تسخير الملايكة لله تعالى فانهم مجبولون
على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون واما يفترقان في شيء وهو ان الملايكة عليهم
السلام عالمة بطاعتها واستثالها والاعضاء تطيع القلب
في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن
طاعتها للقلب واما افتقار القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره

الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه
وقطع المنازل الى لقايه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما
الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العامل الصالح وليس
يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا
فان المنزل الادنى لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا
مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى
المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل
به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه واما يحفظ البدن
بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذا او غيره وان يدفع عنه ما ينافيه
من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذا الى جندين باطن
وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضا الجالبة للغذ فخلق في القلب
من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضا التي هي الات الشهوة =
فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به
يدفع المهلكات وينتقم من الاعدا وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما
يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك امور خارجة عن البدن كالاسلحة
وغيرها ثم المحتاج الى الغذا مالم يعرف الغذا لم ينفعه شهوة الغذا
والغذ فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر
والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها
وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولاتحويه
مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقنع
به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث
اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب
وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة • والثاني وهو المحرك للاعضا
الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود

خارجة

مبثوثة في سايرالاعضا ولاسيما العضلات منها والاوتار والثالث
هو المدرك المتعرف للاشيا كالحواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم
والذوق واللمس وهي مبثوثة في اعضا معينة ويعبر عن هذا بالعلم
والادراك وهو مع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي
الاعضا المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم التي اعدت الات لهذه
الجنود فان قوة البطش انما هي بالاصابع وقوة البصر انما هي بالعين
وكذا ساير القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضا فانها
من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما ايده به من جنود لم تروها
وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى
ما قد اسكن المنازل وهي الحواس الخمس اعني البصر والسمع والشم
والذوق واللمس والى ما اسكن باطنة وهي ما اسكن بجاويف
الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشي يغمض
عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصور
معه بسبب شي يحفظها وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه
فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود اليه
ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين
المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ
ولو لا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ
يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عند فكذلك القوى ايضا جنود باطنة
واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح
ذلك بحيث يدركه فهم الضعفا بضرب الامثلة يطول
ومقصود هذا الكتاب ان ينتفع به الاقويا والفحول من العلما
ولكنا نجتهد في تفهم الضعفا بضرب الامثلة ليقرب ذلك من
افهامهم **بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة** اعلم ان
جندي الشهوة والغضب قد ينقادان للقلب انقياد اتاما

امثلة

فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتها في السفر
الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه
ويستبعداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى
سعادة الابد. وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر
كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله
تعالى على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان
ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الشهوة والغضب
هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان
عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهو
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل
اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول
ان تعقل مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة
المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس
وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع
والعملة والقوة العقلية المدركة له كالمشير الناصح والوزير
العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى
المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب
للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت
نصحه الشر الهايل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة
الوزير الناصح في ارايه وتدبيراته حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته
ساعة كما ان الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزير
ومستشير اله ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا
باشاراته في ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته
واساسه لوزيره وحمله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا
العبد الخبيث فاتباعه انساره حتى يكون العبد مسوسا لات

بالعقل وادبه بحميد الغضب وسلطانها على الشهوة واستعانته

سايسا وما مور امد برا الامر امد برا استقام امر بلده واستقام
العدل له فكذلك النفس متى استعانت باحداهما على الاخرى
تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوايه بمخالفة الشهوة والتدرا
وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها
وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن
عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله
كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث. وقال عز وجل
لمن نهى النفس عن الهوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود
وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله
تعالى المثال الثاني اعلم ان البدن كالمدينة والعقل اعني
المدرك من الانسان كالملك مدبرها وقواه المدرك من الحواس
الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاوه كرعيته والنفس
الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في
مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر
ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره
على ما يحب جمع اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة. وان ضيع ثغره واهمل
رعيته ذم اثره وانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة
ما راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن لم تؤد الضالة ولم
تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه
المجاهدة تعقوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر المثال الثالث مثل العقل مثال فارس